على طريق الأصالة

(١٠)

# محاذير وتحفظات

## على طريق الصحوة الإسلامية

أنور الجندي

بسم الله الرحمن الرحيم

# محاذير وتحفظات

## على طريق الصحوة الإســـلامية

لكل عصر رؤياه التى يحملها المصلحون استمداداً من الإسلام فى مواجهة تحديات عصرهم ، لقد سبقتنا رؤيا خير الدين التونسى ورفاعة الطهطاوى .

ضرورة اقتباس المسلمين لأخطار أوربا وإقناع المسلمين بأن ذلك لا يتنافى مع أحكام الشريعة .

وسبقتنا رؤيا جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده .

الجمع بين القديم والجديد والشرق والغرب على هدى وبصيرة .

وسبقتنا رؤيا إقبال وفريد وجدى والعقاد ومالك بن نبى .

التفسير العقلانى للفكر الإسلامى تحت إسم المعتزلة الجدد .
وهى كلها محاولات نقية الهدف والوجهة حاولت أن تفسر وتقدم

للمسلمين منهجاً يواجه تحديات العصر فالإسلام غير متناهي ورؤيا التجديد تكون دائماً متناهية، قائمة على التحدى الذى تواجهه متحركة فى حدوده

أما رؤيا عصرنا: رؤيا مطالع القرن الخامس عشر والتى بدأت منذ حين فهى الحفاظ على الذاتية الإسلامية فى مواجهة التحدى بالإذابة والاحتواء، وهو أخطر ما تعرضت له الأمة الإسلامية فى تاريخها الحديث من امتحان شديد.

إن رؤيا عصرنا «قرآنية خالصة» قد تحررت من أخطاء الفلسفات والكلام والتأويل وشاملة جامعة لخير ما فى هذه المذاهب والمناهج فى إطار القرآن الذى خاطب القلب والعقل والوجدان، خاطب الفيلسوف والمتعلم والأمى ووصل إلى أعماق المشاعر وخفايا النفوس.

لقد أصيب كل تفسير من هذه التفسيرات بالانحراف ولم يستطع أن يقدم التحفظات والتحوطات الصحيحة دون الانزلاق فى الاحتواء الغربى واستطاع التغريبيون أن ينفذوا إليه، كما نفذوا من قبل إلى الاعتزال والتصوف أما المنهج القرآنى فإنه المحكم الجامع الذى يعجز عنه المبطلون. لقد أخذ الغربيون الفكر الإسلامى (العلم التجريبى ومنهج المعرفة ذوالجناحين) ولكنهم أفرغوهما من العقيدة الإسلامية ولكنا نحن لم نفعل ذلك، لقد وقعنا فى المحظور حين نقلنا أسلوب

العيش الغربى ولم نكن فى حاجة إليه وترجمنا الوثنيات والإباحيات من حضارة الرومان واليونان القديمتين والغرب الحديثة ولم نكن فى حاجة إلا إلى العلوم التجريبية الحديثة لندخلها فى إطارنا الإسلامى ولغتنا العربية حتى تستطيع حضارة الاسلام التى توقفت عن العطاء أن تثمر مرة أخرى .

أولا : التعريف بالإسلام : الذى تحملون إسمه وتقومون برسالته عمل كبير بيد أنى أود أن تضيفوا إليه عبارة « والدفاع عنه » .

فإن الإسلام ما زال محتاجاً للدفاع عنه بالرغم من قول القائلين بأنه لم يعد قاصراً أو إننا نضعه دائماً فى قفص الاتهام أو إننا نحب أن ننطلق من منطلق الهجوم ، الحقيقة أن رسالة التعريف بالإسلام والدفاع عنه رسالة خالدة مدى الدهر ، ما بقى الإسلام لأن هناك محاولات دائبة لا تتوقف للنيل منه وإثارة الشبهات حوله .

هذه المحاولات ترمى إلى عدة أهداف :

( أولا ) إلى تزييفه فى نظر أهله وتشكيكهم فيه وإخراجهم منه وذلك بانتقاص قيمه ومقوماته .

( ثانياً ) إثارة الغبار حوله فى وجه زحفه السلمى إلى مختلف المجتمعات العالمية اليوم بعد أن أصبحت له جاليات عريقة فى كل أنحاء

أوربا وأمريكا واستراليا تقدمه كنموذج تطبيقي حي لأهل هذه المناطق ولقد تعلمون أن هناك محاولات تجري اليوم للتقارب بين الأديان ، بعض هذه المحاولات من صنع الصهيونية العالمية بهدف إضعاف الاسلام وبعضها الآخر يرمي إلى « التمويه » والخداع بينما قوى التبشير ما تزال تعمل في قوة في مناطق مختلفة من أفريقيا وجنوب شرق آسيا ولعل القضية الكبرى هي الحيلولة دون وصول الاسلام إلى الأمم الغربية المتعطشة الآن إلى منهج حياة ونظام مجتمع بعد أن فسدت الديمقراطية والاشتراكية جميعاً وتطلع العالم إلى نظام جديد .

ولما كان هذا النظام الجديد الذي يتطلع إليه البشر في القرن الخامس عشر ليس سوى الاسلام ، فإن هناك محاولات لحجب الاسلام بدعاوي « الحوار » والحوار يهدف في حقيقته إلى الحصول على اعترافات إسلامية من علماء مسلمين لامعين بأنه لا توجد خلافات حقيقية بين الاسلام والمسيحية وأن الخلافات بينهما هي خلافات أكاديمية وذلك لتقديمها إلى الغربيين لإقناعهم بأن تطلعهم إلى الاسلام لا يفيد بعد أن تبين لهم ـ كذباً وزوراً ـ إنه لا خلاف .

ثانياً : هذا القرآن العظيم :

هذا القرآن العظيم : كتاب الله الخالد في نصه الموثق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه القائم على التحدي للبشرية كلها منذ نزوله إلى اليوم وإلى أن تقوم الساعة أن يأتي أحد بآية من مثله .

ذلك العطاء الذى لا يتوقف ، والنور الذى لا يذهب : حبل الله تبارك وتعالى الممتد من السماء إلى أيدينا ، الذى أعجز البلغاء والذى لا تنقضى عجائبه ، ما أحوجنا إلى أن نتمسك به ، ونلتمس هداه ، ونطبقه فى واقع حياتنا .

يقول مايكل هارت فى كتابه مائة رجل عظيم فى العالم على رأسهم محمد ﷺ « القرآن الكريم قد أنزل عليه وحده ، وفى القرآن وجد المسلمون كل ما يحتاجون إليه فى دنياهم وآخرتهم ، ولا يوجد فى المسيحية كتاب واحد محكم دقيق لتعاليم المسيحية يشبه القرآن الكريم ، إن القرآن الكريم العظيم هو الذى حفظ للعرب لغتهم وأنقذها من عشرات اللهجات العامية » .

لقد بدأ العالم فى الغرب يتعرف على القرآن وتقوم المقارنات بينه وبين الكتب المقدسة على نحو يكشف عن طريق العلم والتجريد أن هذا الكتاب منزل من عند الله وأنه موثق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وإن الكتب الأخرى قد أصابها العطب والاختلاف والإضافة والحذف . وهذا التعرف على الرسول وعلى القرآن إنما هو مقدمات هامة لمعرفة الحق .

(ثالثاً) الشريعة الإسلامية :

عندما ينظر المسلمون إلى ذلك التقدير العظيم الحافل من علماء

القانون الغربيين للشريعة الإسلامية فى عديد من مؤتمرات علمية حافلة وأنها شريعة ذات طبيعة مستقلة ، عن الشرائع الرومانية والفارسية وغيرها وعن ما تحمله من عطاء وافر يجب أن نقدر هذه الظاهرة وأن نقف عندها طويلا ، وأن ندهش لأننا ما زلنا حتى الآن نقترض من الغير وعندنا الثروة الطائلة ، إن شريعتنا الإسلامية نظام جامع متكامل فى السياسة والاجتماع والاقتصاد والتربية وبناء الأجيال .

لقد توالت إعترافات رجال القانون العـــالميين بمكانة الشريعة الإسلامية وقرر مؤتمر القانون الدولى فى لاهاى : اعتبار الشريعة الإسلامية مصدراً من أهم مصادر التشريع العام وأنها شريعة حية صالحة لكل الأجيال وأنها قائمة بذاتها وليست مأخوذة من غيرها وأنها سمحت للحقوق بأن يستجيب للرغبات التى يتطلبها الحياة الحديثة وأنها تضم أشرف النظريات القانونية والفن البديع وكل هذا يمكنها من تلبية جميع حاجات الحياة العصرية .

لقد ثبت بجلاء أن الفقه الإسلامى يقوم على مبادىء ذات قيمة أكيدة لا مرية فى نفعها وأن إختلاف المذاهب الفقهية ينطوى على ثروة ضخمة ومجموعة من الأصول يتيح لهذا الفقه أن يستجيب لجميع مطالب الحياة العصرية .

وفى مجال الاقتصاد : نقول حال أن يشترى أستاذ الاقتصاد

في جامعة السربون بباريس أن النظامين الاقتصادين العالمين : الرأسمالي الحر والشيوعي المقيد قد عجزا عن حل مشاكل العالم الاقتصادية إلا أن هذا الحل موجوداً في النظام الاسلامي الذى جمع الخير لبنى البشر وبقى على المسلمين أن يمسحوا الغبار عن كنوزهم الثمينة وأن يحسنوا عرضها للناس لتصبح طريق تصحيح وهدف إنجاز .

( رابعاً ) المنهج التجريبي :

وهناك المنهج التجريبي الذى اعترف به علماء الغرب :

الدور الذى أداه الاسلام بإنشاء المنهج العلمى التجريبى فى المسلمون،هم الذين وضعوا أساس المنهج التجريبى بعد أن تخلصوا من الفلسفة النظرية اليونانية ، وأنهم صححوا نظريات الاغريق فى الفلك والبحار ، ورفضوا السحر والخرافة وأقاموا بناء علميا فى هذه المجالات وخاصة فى مجال الطب وفرقوا بين الفلسفة الرياضية والطبيعة وأتاحوا لها فرصة النماء بينما عارضوا الفلسفة الإلهية التى تتعارض مع مفاهيمهم فى التوحيد والنبوة وأنشأوا منهجاً مستقلا بعيداً عن مغالطات الفلسفة وشطحات الإلحاد ومغريات الإباحة .

خامساً : الثوابت التى تقوم عليها القاعدة : قاعدة البناء .

القرآن والسنة طريقنا إلى الله تبارك وتعالى لا ننفك عنهما معاً .

## أولا : الرسول :

هذا الرسول العظيم : المثل الكامل لكل مسلم . قدوتنا وقائد مسيرتنا إلى الله تبارك وتعالى ، كم نحن فى حاجة إلى متابعة خطاه ، واتباع سنته فقد كان خلقه القرآن وهو التطبيق العملى لمنهج الله . ما أحرانا إلى أن نتزود من سيرته ونهجه وأن نكون ربانيين على طريقته . لا تنحرف عنها حتى لا تزيغ بنا الأهواء إلى مايزينه بعض فلاسفة التصوف من حديث مسموم عن سقوط التكليف وعن تأويل لكلمات الذكر الحكيم وعن مفاهيم باطنية ضالة ومصطلحات فاسدة لم ترد على لسان نبينا الكريم .

ولنذكر كيف يلق رسول الله ﷺ التقدير والإحتفاء من الغربيين الذين درسوا سيرته دراسة مجردة بعيدة عن الأهواء ولننظر إلى مثل قريب فيما قاله مايكل هارت عن عوامل إختيار سيدنا محمد ﷺ الشخصية الأولى فى كتابه الأعلام المائة فى تاريخ البشرية .

لقد بدأ العالم يتعرف على رسول الله ﷺ تعرفا منصفاً بعد أجيال وعقود من الغبن والظلم .

إن محمداً ﷺ فى تقدير المنصفين هو القائد الأول للفكر الإنسانى الذى وقف ينادى بأن الشمس والقمر آيتان من آيات الله وأنهما لا تنخسفان لموت أحد .

يقول مايكل هارت إن سيدنا محمد هو الشخصية الأولى فى العالم لدوره فى نشر الإسلام وتدعيم وإرساء قواعد شريعته فهو المسئول الأول والأوحد عن إرساء قواعد الإسلام وأصول الشريعة والسلوك الإجتماعى والأخلاق وأصول المعاملات بين الناس فى حياتهم الدينية والدنيوية .

ثانياً : نحن فى حاجة إلى التعريف بالإسلام فى مجالات متعددة : وأهم هذه المجالات أن تتعرف أمتنا على حقيقة الإسلام فنحن فى الأغلب مسلمون جغرافيا أو بالوراثة ووفق مفهوم ساذج تداعت به تطورات الأحداث خلال فترة الضعف التى مرت بالمسلمين ، والتى غلبت فيها مفاهيم الجبرية الصوفية ثم جاءت رسالة التبشير والإستشراق باسم السيطرة الأجنبية فحاولت أن تجعل الإسلام دعوة إلى الصلاة والصيام والحج وهى كذلك فى الحق .

ولكن الإسلام ليس ديناً لاهوتياً عبادياً ، ولكنه دين ونظام مجتمع ومنهج حياة وله مفهوم جامع متكامل يمد جناحيه إلى السياسة والإقتصاد والأدب واللغة والتاريخ والتربية ، فهى كلها روافد لفكرة أساسية هى بناء الإنسان المسلم على طريق الله وبناء المجتمع الربانى القائم لتحقيق العدل والرحمة والاخاء البشرى ولهمسئولية الفردية والتزامه الأخلاق وإيمانه بالبعث والجزاء ، هذه الرسالة هى المسئولية التى يجب أن نبنيها فى قلب كل مسلم ليعرف من هو وما هى غايته فى الحياة وكيف ينطلق إلى هذه الغاية .

ومن ثم كان لابد من إعادة النظر فى قضايا السياسة والإقتصاد والاجتماع والتربية المطروحة علينا من خلال المناهج الوافدة التى فرضت علينا خلال فترة النفوذ الأجنبى والتى ما زالت تسيطر على مجتمعاتنا فى المدرسة والجامعة والصحيفة والثقافة والإذاعة المسموعة والمرئية والمسرح وكلها لا تقدم منظوراً إسلامياً حقيقياً ، ولذلك فنحن نتطلع إلى آفاق جديدة يعاد فيها النظر فى مناهج جامعاتنا ومدارسنا فى العالم الإسلامى بحيث تحقق :

أولا : مقدمات العلوم التى قام المسلمون بإعدادها والدور الذى قاموا به فى بناء علوم التجريب والفلك والطبيعة لتكون واضحة أمام أبنائنا ممثلة للدور الحقيقى الذى كان لآبائهم .

ثانياً : وجهة نظر الإسلام التى يجب أن تكون واضحة إزاء قضايا النفس والأخلاق والاجتماع وفى مواجهة الداروينية والفرويدية والماركسية والوجودية جميعاً .

ثالثاً :

إن هذه الأمة الإسلامية قد صنعها الله تبارك وتعالى فى هذه القارة الوسطى على نحو فريد أراد به أن يكون فى يدها مقاليد الأمور فى الحرب والسلام والتجارة والحضارة وأعطاها فى العصر الحديث: الثروة والطاقة والتفوق السكانى لغاية يعلمها وغاية مقررة فى مقتبل

الأيام والسنون ، وهى ما زالت منذ بزوغ الإسلام إلى اليوم وإلى أن يرث الله الأرض وما عليها مطمع الغزاة والأقوياء ومطمح الأمم الطامعة فى ثروتها وموانيها وخلجانها ومواقعها الاستراتيجية .

فما أن تغفل هذه الأمة أو يصيبها الضعف أو الفتور أو الجمود حتى تتدافع القوى المغيرة إلى السيطرة عليها واحتوائها ولذلك فهى مطالبة بأن تكون على تعبئة وأن تكون فى موقع المرابطة الدائمة فى الثغور حتى لا تفاجىء من عدو .

ولقد أوصاها الحق تبارك وتعالى بذلك وحذرها : ( يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم ) (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم)،(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ترهبون به عدو الله وعدوكم ) .

ومن أجل هذا كله فإن شباب هذه الأمة يجب أن يكونوا مفطومين عن الشهوات والترف والأهواء حتى يكونوا قادرين على المواجهة ولقد قيل وبصدق إن أهل هذه الأمة هم فى رباط إلى يوم القيامة .

ومن هنا فقد اتجه أعداء الإسلام إلى تدمير هذه القاعدة الأصيلة الراسخة بالدعوة إلى الاباحيات والفساد والانحلال رغبة فى تدمير هذه الحصانة التى يجب أن تكون قائمة لا تضعف قوية لاتلين يا أيها الذين آمنوا إصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله .

إن الاسلام منذ بزغ فجره وهو عامل مؤثر فى حركة العالم كله وما من حدث حدث بعد إلا وللاسلام أثره فيه ولقد كان ظهور الإسلام حداً فاصلا بين العصور القديمة وبين عصر جديد أطلق عليه المؤرخون اسم « الانقطاع الحضارى » فما عادت الوثنية الفارسية والفرعونية واليونانية والرومانية إلا صفحات من التاريخ تتلى للعبرة فقد كان ظهور الاسلام علامة على رشد البشرية ونهاية لعبودية الانسان للانسان فى الأمم والحضارات وعبودية الانسان للأوثان والأصنام إلى عبادة الله تبارك وتعالى .

رابعاً :

إن للمسلم رسالة ، وأول ما نفتح أعيننا على الحياة أن نسأل أنفسنا ما هى مسئوليتنا ورسالتنا ووجهتنا وهدفنا . وأهداف الناس فى الحياة متعددة ولكن المسلم له وجهة واحدة وهدف واحد هو عبادة الله بالعمل فى المجتمع والسعى والعمران والكسب وأداء حق الله وتحامى ما حرمه ( فناء الصوفى فى الله وفنائى فى خلق الله ) .

التوحيد الخالص بعيداً عن مفاهيم الاتحاد والحلول ووحدة الوجود انطلاقاً إلى إسلام الوجه لله ( إياك نعبد وإياك نستعين ) .

الاسلام حريته وللاسلام عقلانيته وللاسلام عدله الاجتماعى المختلف إختلافا بعيداً عن الليبرالية والعقلانية والاشتراكية .

لقد ظهرت كتابات خاضعة للتيارات التي احتوت العالم الإسلامي فكتب بعضهم ديمقراطية الإســلام واشتراكية الإسلام ، ولكن الإسلام منهج متكامل مختلف تمام الاختلاف عن المناهج البشرية ، وآية تفرده وخصوصية ربانيته ، وهما مصدر قدرته على البقاء والخلود على العصور وفي مختلف البيئات ، وسر عظمته جمعه من الثوابت والمتغيرات وما أوتى من أطر واسعة قادرة على الحياة لا تصطدم بها الاحداث كما تصطدم الأيدلوجيات البشرية فتصاب بالصدع وتحتاج إلى الإضافة والحذف بين حين وحين ، كما نرى في الديمقراطية والماركسية .

• • •

إن للإسلام عقلانية خاصة في إطار تكامله وروحية خاصة في هذا الإطار لا تنفصل عنه ، وعندما استعلت عقلانية الإسلام باسم الاعتزال سقطت ، وعندما استعلت روحانية الإسلام باسم التصوف فسدت ، فالإســلام يتميز عن مذاهب الغرب المادية الخالصة التي لا تعترف بأشواق الروح ومذاهب الشرق الروحية الخالصة التي لا تعترف بالمادة بأنه جامع لهما وفق طبيعة الإنسان التي صنعت من الطين ونفخت فيها الروح .

ومن مفهوم الإسلام نشأ المنهج العلمي التجريبي : قل انظروا ماذا في السموات والأرض .

خامساً :

إن هناك فى عصرنا اليوم منارات أربع : الرأسمالية والماركسية وأبوهما التيار الصهيونى البارز الدور فى مفاهيم العلوم الاجتماعية والنفس والأخلاق والفلسفة المادية وتدمير مقومات القيم وروح الدين فى مختلف دراسات الاقتصاد والسياسة والتربية .

أما التيار الرابع فهو الإسلام ، هذا التيار الذى يقوم على أساس الفطرة وما يقبله العقل وما يقرره العلم ، يلاقى اللطمات اليوم من التيارات الثلاث التى تعمل على الإدالة منه ، ولكنه لصدق وجهته ما زال ثابتاً راسخاً متمكناً حتى شهد له المنصفون ، شهد المنصفون للعقيدة القائمة على التوحيد والأخلاق . شهد المنصفون للشريعة المحكمة كما شهد المنصفون للمنهج الاقتصادى الصائب حيث ترتبط فكرة التقدم بالجمع بين المادى والروحى ، وفكرة التحديث بالأخلاق والالتزام الأخلاقى والمسئولية الفردية .

لقد كشفت وقائع التاريخ عن فساد الخطط السياسية والاقتصادية من ماركسية وصهيونية ورأسمالية ، وكشفت التجربة بالتطبيق فى البلاد الإسلامية عن سقوط الرأسمالية والماركسية ورفضت النفس العربية الإسلامية قبول المنهجين ، ولم يعد أمامها إلا منهجها الأصيل الذى بناه القرآن فى أعماقها أربعة عشر قرناً عليها أن تعود إليه وتلتمس منه الطريق الصحيح وعليها أن تقدمه للبشرية ليكون علاجاً

لأدوائها وحلا لمشاكلها وعاملا على قيام المجتمع الأمثل الذى ما زالت الإنسانية تتطلع إليه من خلال عشرات الطوبياء ( من جمهورية أفلاطون إلى الماركسية ) دون جدوى .

ونحن نعرف أن محاولة حجب الإسلام من أهل الغرب هى رسالة التبشير والاستشراق الأساسية ، وأن هذه الرسالة بدأت بعد عودة المحاربين فى الحروب الصليبية إلى الغرب معلنين سماحة الإســلام ومتحدثين عن عدل صلاح الدين وعفوه وعن أن القضية الكبرى التى قامت من أجلها الحروب الصليبية وهى تخليص بيت المقدس كانت الخديعة الكبرى حيث لم تكن هناك فى الحقيقة مؤامرة حقيقة ولكنها كانت محاولة صد أوربا عن الإسلام .

إن آية عصرنا هذا هو « الحذر » والتحوط من الانصهار فى بوتقة الغرب الفكرية وهى تمر الآن بمرحلة الضعف والانهيار .

إن القوى التى ترغب فى استدامة السيطرة على عالم الإسلام تخطط فى مكر شديد فى سبيل تعويق نهضة هذه الأمة وذلك عن طريق إذابة شخصيتها وصهرها فى بوتقة الأممية العالمية واحتوائها حتى لا تستطيع أن تظهر بذاتيتها الخاصة التى تميزها : ذاتية التوحيد والعدل والرحمة والإخاء البشرى الذى عرفت به الذاتية الإسلامية منذ أربعة عشر قرناً وكانت علامة واضحة .

إن الاسلام صديق للأديان والأمم والحضارات يود أن تقوم

علاقته معها جميعاً على أساس التعارف والالتقاء واقتباس الصالح ، ولكنه حريص على أن لا يفقد ذاتيته فى هذه الجولة من جولات الالتقاء الثقافى أو الحضارى ، فهو ليس عدواً مقاتلا ولا خصماً مصارعاً ، ولكنه بحكم آياته المحكمة يستطيع أن يلتقى مع الأديان فى مواجهة التحديات التى تواجه البشرية ، دون أن يخضع للمحاولات التى تريد أن تحتويه أو تذهب بذاتيته الخاصة ، ولن تكون حضارة الاسلام المتجددة معارضة أو مصارعة للحضارة القائمة ولكنها ستقدم للبشرية ذلك اللون الربانى الخالص الذى عجزت عنه هذه الحضارة المادية .

سادساً :

تيار جديد فى أفق الغرب :

إن هناك ظاهرة فى عوالم الغرب بدأت ترى أن الاسلام هو محرر البشرية الحق ، هذه الظاهرة بدأت منذ وقت بعيد على أيدى بعض المفكرين المتحررين من نفوذ الاستشراق أمثال درابر وجوستاف لوبون وكارليل وسجريد هونكه .

ثم نمت واتسع نطاقها واستطاعت أن تدخل عدداً من المبشرين فى دائرتها ، حتى أصبحت تياراً قوياً يؤمن بأن العالم لن يستطيع أن يخرج من أزماته وأخطائه إلا بأن يلتزم هذا المنهج أسلوباً للحياة ،

هذه ظاهرة يجب أن لا نستهين بها ، وعلينا أن ننميها وندفعها لتزداد قوة ورسوخاً ، وعلينا أن نتابع آثارها ونتائجها .

وعندما نرى رجلا مثل الدكتور موريس بوكاى يتحدث عن القرآن الكريم فى مقارنته بالكتب المقدسة ، تؤمن حقيقة بأن الاسلام يستطيع أن يقدم نفسه على أسلوب العلم الحديث للعصر الحديث ، كما يقدم ظواهر الفلك والصواريخ المنطلقة إلى القمر والكواكب الأخرى مزيداً من الفهم العميق لعظمة الخالق الذى صنع هذا الكون الواسع والذى يديره تبارك وتعالى لحظة بعد أخرى ، والذى تكشف التلسكوبات كل يوم عن جديد من عالم واسع غير محدود .

لقد قدم المسلمون للبشرية المنهج العلمى التجريبى ومنهج المعرفة ذى الجناحين وقدموا لها التوحيد الخالص ، إن لوثر عندما قاد حركته لإصلاح الكنيسة كان يضع أمامه نسخة من القرآن ، إن فاسكو دى جاما عندما عبر المحيط كان معه أحمد بن ماجد ، إن دانتى عندما كتب الكوميديا الإلهية كان أمامه كتاب المعرى .

سابعا :

هذه الحضارة الغربية التى تحاول احتواء عالم الاسلام التى كان دورنا فيها هو الأصل الأصيل والتى انحرفت عن منهج الله ، هل نأخذها اليوم بعد أن وصلت إلى مرحلة الاستهتار ، يخدعنا بهذا عدد

من الكتاب الذين يقولون إن أعظم ما فى حضارة الغرب هو الفن أى فن هذا الخارج عن الفطرة ، المعارض لطريق الحق ، المنطلق من قيود الأخلا . .

إن هناك خمس قضايا كبرى بيننا وبين الحضارة الغربية ، هى النظام الاقتصادى، النظام السياسى ، النظام الربوى ، النظام الاجتماعى نحن لانقبل بالعلمانية ولا بالإباحية ولا بالوثنية هذه السموم المبثوثة فى كل الكتابات والقصص والمسرح . لقد علمنا الاسلام أن نقف من المعرفة المعروضة علينا موقف التعرف الصحيح عليها فى ضوء قيمنا ونورنا الهادى . إننا نواجه اليوم معركة حاسمة هى معركة القضاء على ذاتية الأمة الاسلامية حتى تستسلم وتنصهر وتذوب فى تيار الأممية العالمية ، وحتى تفقد تلك الخصائص الذى صنعها لها القرآن والاسلام فعلينا أن نحارب فى سبيل التحرر من التبعية والاحتواء والانصهار بكل ما نملك من قوة .

إن الحضارة الغربية تعانى من داخلها قلقا هائلا تبتدى مظاهره الخطيرة فى انحلال الأسرة وسقوط القيم السامية وانتشار المجاعة الروحية وفقدان الانتماء وانتشار الاجرام وذوبان الحوافز الدافعة للإنجاز البطولى والتضحية بالمثل العليا وشيوع الالحاد واليأس والجريمة والمخدرات وعبادة الجنس والإسراف والشذوذ .

إن هذه علامات النهاية ، إنها نفس العلامات التى عرفها

التاريخ عن حضارة اليونان والفرس والرومان والفراعنة ..

لقد رفض المجتمع الإسلامى فكرة القومية الغربية والإقليمية والطبقية والصراع الطبقى وأفلست أيدلوجيات الرأسمالية والليبرالية والديمقراطية لأنها أنظمة استمدت وجودها من الاستعمار والنفوذ الأجنبى، وكذلك أفلست أيدلوجيات الماركسيين والشيوعيين والاشتراكيين، وكان فى إفلاس هذه الأنظمة الاجتماعية والاقتصادية إفلاساً للفكر الوافد ومذهب التبعية ولم يبق بعد ذلك أمام المسلمين فى مطالع القرن الخامس عشر إلا منهجهم الربانى القرآنى .

ثامناً :

إن هناك محاولات صهيونية ماركسية لإجهاض هذا الطور من اليقظة الإسلامية ، وذلك بتشويه الصحوة الإسلامية والمد الإسلامى فى نظر الغرب ، فالمناهج التعليمية والتربوية فى الغرب يسيطر عليها اليهود وهى تشوه الحضارة الإسلامية ، هذه المناهج تصور العرب على صورة مغلوطة ، وحين تتحدث عن الإسلام تقدمه على أنه دين حربى يؤكد على الجهاد ، ويشرحون الجهاد من وجهة نظر خاطئة ومشوهة ، وقد وجد فى كتب التدريس التى بين أيدى الطلاب فى الغرب صيغ كاذبة ممتلئة حقداً على الإسلام فى إبان الحروب الصليبية ومحاكم التفتيش . وحين تدعو حركة الحوار اليوم إلى تصحيح كتب التاريخ فإنها ترمى إلى أن يسقط المسلمون من كتبهم الحروب الصليبية

والاستعمار الحديث والغزوة الصهيونية وهم يرون أنها هى العقبة فى سبيل التقارب الإسلامى الغربى ولكنهم لا يفكرون فى تنقية كتب الغرب قاطبة من نظرتهم الخاطئة إلى العرب والمسلمين وحملاتهم القاسية على الإسلام والرسول والقرآن .

تاسعاً :

لا ريب أن العودة إلى الإصالة وتعرف ذاتيتنا الاسلامية هو الحصن الحصين الذى يحمينا من الذوبان فى أتون الحضارة العالمية وفى الأممية العلمانية الضالة . علينا أن نتعرف على تاريخنا وتراثنا من مصادره الحقة ، إيجابياته وسلبياته . أما إيجابياته فينتفع بها فى حاضرنا وأما سلبياته فنتجنبها .

إن علينا أن نعلم أن النفوذ الأجنبى كان فى الماضى سياسياً وعسكرياً فكنا نقاومه لأنه كان واضحاً مكشوفاً ، أما اليوم فقد تحول وتخفى ولبس أثواب العلم والثقافة ، ودخل بسمومه إلى مفاهيم التربية والفكر يحاول أن يغير الكلمة الثابتة ويحتوى الصفحة البيضاء ويفسد جوهر التوحيد والجهاد والإيمان القائم على الإصرار بالمقاومة وحماية البيضة والدفاع عن الكيان .

إن علينا أن نحمى المسلم المعاصر من الانهيار النفسى والتبعية لحضارة طاغية دخلت مرحلة الانهيار وتبرأ أهلها منها ، ولا ريب

إن اكتشافنا لمؤامرة ( النفوذ الأجنبي ) بقواه الثلاث : غربية وصهيونية وماركسية يجب أن تجعلنا على يقظة تامة . إن المؤامرة تهدف إلى تجريدنا من مصادر القوة فى نفوسنا وتحطيم إيماننا بقدرتنا الذاتية وقدرة حضارتنا الإسلامية على العطاء ، ولا بد من اتخاذ قرارات حاسمة فى هذه المجالات الثلاث :

- الشريعة الإسلامية ، بدلا من القانون الوضعى لإصلاح المجتمع .
- الاقتصاد الإسلامى بدلا من النظام الربوى لحماية المال الإسلامى .
- التربية الإسلامية بدلا من العلمانية فى منهج التعليم الوافد لحماية النفس المسلمة والأجيال التى ستحمل الأمانة .

عاشراً :

الاستشراق ، التبشير ، التغريب .

بدأ التبشير والاستشراق بعد هزيمة لويس التاسع فى الحملة الصليبية السابعة إلى مصر والتى هزم فيها شر هزيمة ، وقد أخذ يراجع موقف الغرب فى محبسه فى دار لقمان بالمنصورة وهناك تفتق ذهنه عن تلك الفكرة الخطيرة التى أذاعها بعد ذلك وهى محاربة الإسلام بالكلمة

بعد أن فشلت حرب السيف ، حيث دعا إلى تزييف مفهوم الجهاد الذى مكن المسلمين بالصلابة والثبات فى مواجهة أعتى الجيوش الذريعة والصمود أمامها . ومن هذا المنطلق جاءت الدعوة إلى إثارة التشكيك فى قيم الإسلام عن طريق الاستشراق وكان التبشير هو الموزع لبضاعة الاستشراق عن طريق معاهده ومدارسه وجامعاته .

حادى عشر :

## دلالات خطيرة :

( اليوم انتهت الحروب الصليبية . مؤتمر بترمان ١٩٠٨ )

بدأت المؤامرة بالقول بأن النفوذ الغربى فى طريقه إلى السقوط والاستهتار وجاءت الفكرة عن طريق الدعوة إلى الوسائل التى تؤخر مصير الاستعمار الغربى وقد بلغ الذروة والقوة . ومن هنا أجمع عدد من العلماء والمفكرين لبحث هذه الخطة ، وقد انتهت اللجنة إلى إقرار الخطة التالية : أهمية السيطرة على البحر المتوسط لأنه الشريان الحيوى للاستعمار فهو الجسر بين الشرق والغرب وملتقى طرق المواصلات فى العالم إيماناً بأن من يسيطر على شواطئه الجنوبية والشرقية يستطيع التحكم فى العالم . وأكد التقرير أن الخطر على الاستعمار يكمن فى البحر المتوسط صلة الوصل بين الشرق والغرب وفى حوضه حيث مهد الديانات والحضارات وإنه يسكن فى هذه المنطقة شعب واحد تتوافر

له وحدة التاريخ واللغة والدين وكل مقومات التجمع والترابط ، هذا فضلا عن ثرواته الطبيعية ونزعة أهله للتحرر، فلو أخذت هذه المنطقة بكل الوسائل الحديثة وإمكانيات الصناعة الأوربية . وانتشر التعليم فيها فإنه ستحل الضربة القاضيـة حتماً بالامبراطوريات الاستعمارية ، وعندها ستتبخر أحلام الاستعمار الغربي . فيجب إذن على الدول ذات المصالح المشتركة أن تعمل على استمرار ( تجزئة ) هذه المنطقة وإبقاء شعبها على ما هو عليه من تفكك وتأخر وجهل .

وهذا يستلزم فصل الجزء الإفريقي فى هذه المنطقة عن الجزء الأسيوى بإقامة حاجز بشرى ( قوى وغريب ) فى منطقة الجسر البرى الذى يربط آسيا وإفريقيا ويربطهما معاً بالبحر المتوسط بحيث يشكل فى هـذه المنطقة وعلى قربه من قناة السويس قوة صديقة للاستعمار وعدوة لسكان المنطقة .

من أجل هذا كله :

نقول للدعوات الثلاث المبثوثة فى مجتمعاتنا : لا سبيل : إنها دعوة واحـدة . نقول لدعاة التوحيـد لا بد من اكتمال الحلقة بالدعوة إلى الشريعة والتربية الإسلامية ، ونقول لدعاة التصوف وتهذيب النفس لا بد من التوحيـد والشريعة . إن هذا العقـد الفريد متكامل بدروه الثلاث ، فعلى هـذه الدعوات أن تتكامل حتى تكون الإسـلام نفسه وألا نقع فى القرن الخامس عشر الهجرى فيما وقع فيه العقلانيون دعاة

الاعتزال حينما ظنوا أنهم يمثلوا الإسلام ولا فيما وقع فيه الصوفية دعاة المعرفة الوجدانية الخالصة ، حينما ظنوا أنهم يمثلون الإسلام . وعلينا أن نعود إلى منهج القرآن نفسه الجامع بين التوحيد والشريعة والأخلاق (صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة) فالإسلام يدعونا إلى النظرة الجامعة وإلى تكامل النظرة بين الجانبين المادى والروحى القائمين أساساً فى الإنسان من الطين ونفخة الروح .

هذا هو طريقنا إلى الله فى مطالع القرن الخامس عشر .

(ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا)
أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم ، والله من وراء القصد .



رقم الإيداع ٢٦٦٠/١٩٨٩

مطبعة دار البيان بمصر
ت/ ٩٢٨٦١١٩